لبنـــان والعربية

للاستاذ السهمي

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي (رحمه الله) في لبنان وبيروت في عبقرية لبنانية :

بلغ السها بشموسه وبدوره لبنان وانتظم المشارق صيته
لبنان والخلد اختراع الله لم يوسم بأزين منهما ملكوته
هو ذروة في الحسن غير مرومة وذرا البراعة والحجى بيروته

ويروى ياقوت في معجم البلدان لأحمد بن الحسين بن حيدرة مقطوعة فيها هذا البيت في مياه لبنان :

وكيف التذاذي ماء دجلة مرقأ وأمواه لبنـان ألذ وأعذب

ويذكر شاعرنا أبو الطيب تفاح لبنان في عضدية عبقرية :

حيث التقى خدها وتفاح لبنان (م) وثغرى على حميـــاها

ويقول النشاشيبي في بيروت في خطبة(١) :

بيروت مثقفة العرب .

بيروت موقظة العرب من بعد طول هجوعهم .

بيروت منبعث الأضواء والأنوار .

بيروت فلك الشموس والأقمار .

بيروت دار أحمد فارس والأحدب والأسير .

بيروت دار اليازجيين : ناصيف وخليل وابراهيم .

بيروت دار البستانيين : بطرس وسليمان وعبد الله .

بيروت دار أديب إسحاق وأحمد عباس .

بيروت دار الحوراني والشرتوني وصروف وضومط .

بيروت دار شكيب أرسلان وأمين الريحاني ومحيي الدين الخياط ومصطفى الغلاييني .

بيروت هي التي نزل على أهلها ، على كرام ، الأستاذ الإمام محمد عبده (رضي الله عنه) وأملى فيها رسالته البليغة في التـوحيد بل معجزته .

في بيروت تثقفت واهتديت واتبعت داعي الإسلام والعربية والوطنية ، وجيت جندياً من جنود سيدي [محمد بن عبد الله] عليه صلوات الله .

المدرسة البطريركية(١) للروم الكاثوليك مدرستي .

ضوأت لي بيروت عن طريق فشيت ، وهدتني بيروت هداها فهديت ، ورحت أقول في قصيدة(٢) :

حنـــانيك يا ربعاً به نلت منيتي
وأبعدت في الشرق الخطير لي الذكرا
إذا النـــاس ضلت في مجاهل غيها
وساءت مساعيها فلا تعرف البرا
فإني بأرض الشام أخدم أمتي وأرجو لها في كل واقفة نصرا
أخوض غمار الكون بالعلم والتقى
ولا أسأل القوم العظام لي الأجرا

بيروت مدينة تهذيبي .

والعربية هي التي يقول فيها النشاشيبي :

اللغة هي الأمة ، والأمة هي اللغة ، وضعف الأولى ضعف الثانية ، وهلاك الثانية هلاك الأولى . وكل قبيل حريص — وقد كان في هذه الدنيا — جد حريص على أن يستمر كونه ، وعلى أن لا يبيد(٣) ، فهو مستمسك بلغته للاحتفاظ بكينونته . واللغة ميراث أورثه الآباء الأبناء ، وأحزم الوراث صائن ما ورث ، وأسفههم في الدنيا مضيع .

وإنا أمم اللسان الضادي — لعرب ، وإن لغتنا هي العربية وهي الإرث الذي ورثناه ، وإنا لحقيقون والآباء هم الآباء واللغة هي تلك اللغة بأن نقي عربية الجنس وعربية اللغة ، نقي المريتين مما يضيرهما أو يوهنهما .

ولو كان الموروثون صغاراً ولو كان الميراث حقيراً لوجب علينا إكبارهم وإعظامه ، فكيف والتاريخ يقول: إن الآباء كانوا كراماً ، وإن الآباء كانوا عظاماً . وكان لهم الخلق المتين الجيد ، وكان لهم

(١) سنة ١٣٥١ .

(١) درس العربية في هذه المدرسة الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ خليل اليازجي والشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ سعيد الشرتوني والشيخ ابراهيم الحوراني والشيخ عبد الله البستاني .

(٢) سنة ١٩٠٥ .

(٣) يرى الصولي في (أدب الكتاب) أن تكون (لا) مقطوعة من (أن) أجود .

السلطان القوى والمؤدد ، وكانوا الأئمة فى العلم وكانوا الأعة فى الحكمة . فاقرأ كتب علمهم ، واقرأ كتب حكمتهم .

والزمان يقول : إن العربية خير ما صنعت يداى (وإن الدهر لصنّع) وإنها لخير طرفة أطرفتها الناس ، والزمان بالخير — وإن جاد — شحيح . فالعربية الصنع المبقرى للدهر ، والعربية هى الدرة اليتيمة أو كنز الزمان ضن به كل الضن ثم سخا .

وإذا كان للنفوس العربية فى الجزيرة وهى نفوس تجسمت من القوة أو تكونت منها القوة ، وهى نفوس تعالت وتعززت فنشأت فى الدنيا ألفاظ العلو والعزة وهى نفوس صفت وصرحت ، وما صفاء سواها وصراحتها إلا كدر وليس — إذا كان لهذه النفوس فضل على امتها إذ كانت منجمها الذى منه بدت فلهذه اللغة البينة المحكمة فضل على تلك النفوس ، فقد أعطى بيان اللغة وإحكامها أهل اللغة ما أخذته منهم ، وقد أحسن الألماس(١) المشع إلى منجمه ، فهذا كون ذاك ، وذاك نور هذا .

وإن العربية لو لم تكن الإبداع كله ولو لم تكن الجمال الأجمل ، ولو لم تكن اللغة الصطفاة ، ولو لم تك لغة عجباً ، ما اختارها الدهر لقرآنها و [الله أعلم حيث يجعل رسالته] ولم تستطع ألفاظها الاستقلال بمعانيه ، وكل معنى فيه يأبى أن ينزل إلا فى أكرم لفظ ، وكل مقصد من مقاصده لا يقبل إلا أعجب أسلوب . ولن ينزل أهل السماء إلا فى ذروة العلياء . و (الكتاب) — وإن علا — حتى أظل (سدرة المنتهى) قد أدناه وقد جلّاه نور بيانه حتى أرانا إياه ، والشمس قد علت وقد ابتعدت ، وهل يحيى وهل يضىء هذى الأرض إلا الشمس .

ويقول النشاشيبى فى رثاء كبير عراق فى خطبة(٢) :

قالوا : ابكه وإلا غضبت عليك عربيتك .

أعوذ بمحمد ، أعوذ بالعربية من غضب العربية .

وهى لى فى حياتى ومماتى إلا هى ؟

وهل معتصمى وشرفى ومجدى فى الوجود غير عربيتى ؟

وهل سموت وكرمت عند العظماء وعند الفضلاء وعند الملوك إلا بها ؟

أنا لا أشترى رضاها هذى الدنيا بمخافيرها (استغفر الله) ولا الآخرة .

أعوذ بالعربية من غضب العربية .

أنا خادمها ، أنا عبدها ، أنا عبد لغتها ، أنا عبد قرآنها ، أنا عبد محمدها .

أنا سيد لكل حر سيد بهذه العبودية .

أعوذ بالعربية من غضب العربية .

وقد شاء فى هذا الشهر حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية (الشيخ بشارة الخورى) ووزيره الأكبر حضرة صاحب الدولة الأستاذ (رياض الصلح) وحكومته ، وحضرة أمير النثر والناثرين وسيد البلغاء صاحب (الرسالة) الأستاذ (أحمد حسن الزيات) أن يعطوا خادماً من خدام هذه العربيــة — وهو الذى تلوت قوله آنفاً — (وسامين)(١) فأعطوه . واليقين كل اليقين أنهم نظروا إلى إخلاصه فى حبها لا إلى مقدرته ؛ فالرجل عند التحقيق ليس هناك ، وهو صاحبى ، وأنا من أعرف الناس به . والمنصف يقول الحق ويقضى بالعدل ولو على نفسه [يا أيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم] .

السرهمى

(١) الهمزة واللام فيه أصليتان لا كما ظن صاحب القاموس فعد ذلك لحناً . وقد وجدت الألماس فى فائق الزمخشرى ونهاية ابن الأثير .

(٢) سنة ١٣٤٨ .

(١) راجع الرسالة (٧٢٥) الصفحة (٦٠٠) إن قول صاحبها فى دولة الفضل وسام كبير .

عبد المعطى المسيرى

يقـــدم كتابه الجديد

روح وجسد

مجموعة قصصية جديدة ، صور صادقة لخلجات القلوب ، وهمسات النفوس . اثنتا عشرة قصة قصيرة تتميز بجمال الأسلوب ، وروائع الوصف ، وعمق التحليل .

طابعها الخاص مكن لها فى الفوز برضاء وإعجاب المستشرقين والهيئات ومحطات الاذاعة العالمية .

أذيعت من محطات لندن ، والشرق الأدنى ، وفلسطين ، وبيروت ، وأم درمان

يطلب الكتاب من مكتبة « البنا » بدمنهور ومكتبة مصر بالفجالة ومكتبة فكتوريا بالإسكندرية ، والمكاتب الكبرى . الثمن ١٥ قرشاً